المحاضرة 05 قصيدة النثر

1-قصيدة النثر وإشكالية الوجود:

يذهب الدكتور "محمد ناصر" إلى أن بداية الشعر المنثور في الجزائر كانت مع الشاعر "أبي العيد دودو"، والشاعر "عبد الحميد بن هدوقة" في ديوان "الأرواح الشاغرة" في الستينات، ولكنه يرى أنها محض تجربة شخصية يقترب فيها "بن هدوقة" من أسلوبه القصصي في أعماله القصصية الأخرى، وهي تفتقر إلى الإيقاع الموسيقي اللازم لشد الانتباه، يقول عن لغة هذا الديوان: "إن الدارس لا يجد في هذه اللغة أية ميزة تقربها من الفن الشعري لأنها عبارات نثرية باهتة تفتقد العنصر الأساسي وهو الإيقاع الموسيقي، وهي تفتقد أيضا عنصر التصوير والإيحاء".

بل ويذهب الناقد إلى أن ما كُتب في السبعينات مثل أعمال "جروة علاوة وهبي" تسير في ذات السياق من الافتقار للخصائص الخارجية والداخلية للشعر. لقد كان موقف الناقد "محمد ناصر" سلبيا من هذا النوع الشعري الجديد مصنفا إياه في المرحلة الخامسة من مراحل اتجاهات الشعر الجزائري المعاصر.

يقول عن هذه المرحلة: "نحسبها خروجا عن الإطار الشعري إلى ما يطلق عليه النثر الشعري، لأن هذه الأعمال لا تراعي الإيقاع الموسيقي، ولا تهتم به أي اهتمام، وإنما هي تهتم بالكلمة، والصورة والفكرة فأفرغت اللغة الشعرية من أهم مميزاتها. وهذا الاتجاه ضعيف، قليل الأنصار ولا نحسبه يستطيع أن يفرض وجوده".

ويرى "واسيني الأعرج" بنفس منظور "محمد ناصر" في رفض مصطلح "قصيدة النثر" واعتباره رديفًا للسخرية واللامسؤولية، في قوله: "على رفضي لهذا المصطلح الأخير الذي يعني السخرية، أكثر مما يعني تحديد نوع، لأن الشعر إما أن يكون شعرا أو لا يكون، أما كلمة القصيدة النثرية، فهي مصطلح يحيل إلى توفيقية عاجزة عن ضبط ذاتها وتحمل مسؤوليتها بكل عمق".

2-خصائص قصيدة النثر في الجزائر:

يمكن اعتبار فترة السبعينات البداية الحقيقية لقصيدة النثر الجزائرية، باعتبارها "حركة ترفض الأبوة وتحاول التأسيس لنص مختلف، يكسر نظام الوزن والتفعيلات ليولد إيقاعا مختلفا ذا بعد دلالي إيحائي أو موسيقي مبني على خصائص مختلفة، إنه توجه شعري متوهج يحاول تقديم المختلف في ومضات دون الاتكاء على نموذج مسبق، محققا المجانية، لتتجاوز بذلك سلطة المضمون".

في حين يعتقد "واسيني الأعرج" أنه لا يمكن إحداث قطيعة تامة مع التجارب السابقة (النص الإصلاحي/النص السبعيني). إنها تقاطعات موجودة وإن كانت غير ظاهرة بشكل واضح، وذلك استنادا إلى مساحة الحرية المتوفرة، فهي كتابة شعرية "غير منفصلة عن تاريخها وتراثها إيجابا وسلبا، حقائق وأوهاما، تواضعا وإطلاقية، لكن مؤشرات التصاعد والتطور والتنامي تضل قائمة مهما كانت المعوقات حاضرة، وتتم دائما من موقع الاختلاف والتمايز، والتداخل، والتنامي، والتراكم، والنقد".

فلا يمكن الحديث عن مطلقية الانعتاق لتجربة شعرية ممتدة في الزمن، فمن الواضح هناك "خيطا ناظما يخترق برزخ المشروع الشعري، ليحتضن حركة التعارض بين القصيدة العمودية والقصيدة الحداثية ويعقد المصالحة بين خلايا النصين في جسد واحد"، يتمثل جماليات الشعر والنثر في آن واحد.

تخرج قصيدة النثر في شعريتها عن الرؤية الضيقة والتقليد الأعمى، والتكرار الممل، لأنها تنبثق عن تداخل أجناسي وإمكانيات دلالية جديدة، هذه المخيلة "تنحت الصورة الشعرية التي تخرج عن تجريديتها المطلقة إلى تجريدية بالإمكان ملامستها والتقرب من آليات اشتغالها، ممتلئة بالحياة والدلالات الكثيرة، المترابطة والمتراصة بعضها إلى جانب بعض، بدون أن يعني ذلك دخول القصيدة داخل حدود الأنواع الأخرى أو سقوطها في النثرية السهلة".

ولعل التداخل والانصهار جزء لا يتجزأ من روح العصر الذي يميل إلى التسارع والتعالق بصورة تستعصي على الاستيعاب أحيانا، بل وتصل لحد تجاوز المألوف والعقلاني.

لقد برع في هذا النمط من الكتابة شعراء أمثال: جروة علاوة وهبي، عبد الحميد شكيل، عبد الله حمادي، وآخرون.

مراجع المحاضرة:

-محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث.

-واسيني الأعرج: ديوان الحداثة بصدد أنطولوجيا الشعر الجديد في الجزائر.

-فائزة خمقاني: قصيدة النثر في الشعر الجزائري المعاصر دراسة فنية جمالية.

-نهاد مسعي: شعرية القصيدة النثرية الجزائرية عبد الحميد شكيل أنموذجا.